الفصل الثاني

٢ - عبادة الملائكة

نظرة في طبيعة الملائكة :

الملائكة مطبوعون على طاعة الله ، ليس لديهم القدرة على العصيان (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، (سورة التحريم /٦) .

فتركهم للمعصية ، وفعلهم للطاعة جبلَّة ، لا يكلفهم أدنى مجاهدة ، لأنَّه لا شهوة لهم .

ولعلَّ هذا هو السبب الذي دعا فريقاً من العلماء إلى القول بأن الملائكة ليسوا بمكلفين وأنهم ليسوا بداخلين في الوعد والوعيد (لوامع الأنوار ٢/٤٠٩).

ويمكن أن نقول : إن الملائكة ليسوا بمكلفين بنفس التكاليف التي كلف بها أبناء آدم . أمَّا القول بعدم تكليفهم مطلقاً فهو قول مردود ، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة (يخافون ربَّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) سورة النحل/٥٠). وفي الآية أنهم يخافون ربهم ، والخوف نوع من التكاليف الشرعية ، بل هو من أعلى أنواع العبودية كما قال فيهم: (وهم من خشيته مشفقون) ، (سورة الأنبياء /٢٨) .

مكانة الملائكة :

خير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد لله ، ولكنهم عباد مكرمون ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن دعوى المشركين في أن الملائكة ـ بنات الله ـ دعوى باطلة لا نصيب لها من الصحة ، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع،قال تعالى:(وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ،

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)،(سورة الأنبياء /٢٦ ـ ٢٩) .

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية ، قائمون بالخدمة منفذون للتعاليم ، وعلم الله بهم محيط ، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر ، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم ، خائفون وجلون ، وعلى احتمال أن بعضهم تعدى طوره فإن الله يعذبه جزاء تمرده .

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين ، ولا يعترضون على أمر من أوامره ، بل هم عاملون بأمره ، مسارعون مجيبون (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)، (سورة الأنبياء/٢٧) وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به ، فالأمر يحركهم ، والأمر يوقفهم ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ لجبريل : (ألا تزورنا أكثر مما تزورنا ؟!) قال : فنزلت : (وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيّا)،(سورة مريم /٦٤) .

نماذج من عبادتهم :

الملائكة عباد الله ، مكلفون بطاعته ، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف بيسر وسهولة . وسنورد ـ هنا ـ بعض العبادات التي حدثنا الله ، أو رسوله ـ ﷺ ـ أنهم يقومون بها .

التسبيح :

الملائكة يذكرون الله تعالى ، وأعظم ذكرهم التسبيح ، يسبحه تعالى حملة عرشه : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) (سورة غافر /٧) كما يسبحه عموم ملائكته : (والملائكة يسبحون بحمد ربهم)،(سورة الشورى /٥) .

وتسبيحهم لله دائم لا ينقطع لا في الليل ولا في النهار (يسبحون الليل والنهار لا يفترون)،(سورة الأنبياء /٢٠) .

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبحون في الحقيقة وحق لهم أن يفخروا بذلك : (وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبّحون)، (سورة الصافات/ ١٦٥ ـ ١٦٦) .

وما كثرة تسبيحهم إلا لأن التسبيح أفضل الذكر ، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر ، قال : سئل رسول الله ـ ﷺ ـ: أي الذكر أفضل ؟ قال : (ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده : سبحان الله وبحمده) .

صلاتهم :

سبق ذكر الحديث الذي يحث الرسول ـ ﷺ ـ فيه أصحابه على الاقتداء بالملائكة في الاصطفاف للصلاة : (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟) وعندما سئل عن كيفية اصطفافهم قال : (يتمون الصف الأول فالأول ، ويتراصون في الصف) رواه البخاري .

وفي القرآن عن الملائكة : (وإنا لنحن الصافون) ، (سورة الصافات ١٦٥) وهم يقومون ويركعون ويسجدون ، ففي مشكل الآثار للطحاوي والطبراني في المعجم الكبير عن حكيم بن حزام قال :

(بينما رسول الله ـ ﷺ ـ في أصحابه إذ قال لهم : أتسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء ، قال : إني لأسمع أطيط السماء ، وما تلام ان تئط ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم).

قال فيه الألباني (صحيح على شرط مسلم)،(سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٨٥٢) .

حجّهم :

وللملائكة كعبة في السماء السابعة يحجون إليها ، هذه الكعبة هي التي

أسماها الله تعالى : البيت المعمور ، وأقسم به في سورة الطور (والبيت المعمور)،(آية /٤) .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : (ثبت في الصحيحين أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة : (ثمَّ رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم) يعني يتعبدون فيه ، ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم ، والبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ، ولهذا وَجَد إبراهيمَ الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، لأنَّه باني الكعبة الأرضية ، والجزاء من جنس العمل) . وذكر ابن كثير أن البيت المعمور بحيال الكعبة ، أي فوقها لو وقع لوقع عليها ، وذكر أن في كل سماء بيتاً يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة.

وهذا الذي ذكره ابن كثير من أن البيت المعمور بحيال الكعبة مروي عن علي بن أبي طالب ، أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعرة أن رجلاً قال لعلي ـ رضي الله عنه ـ: ما البيت المعمور ؟ قال : (بيت في السماء يقال له الضُراح وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، ولا يعودون فيه أبداً).

قال فيه الشيخ ناصر الدين الألباني :(الأحاديث الصحيحة ٢٣٦/١) ورجاله ثقاة غير خالد بن عرعرة وهو مستور .... ثمَّ ذكر أنَّ له شاهداً مرسلاً صحيحاً عن الرسول ـ ﷺ ـ من رواية قتادة ، قال : ذكر لنا أن النبي ـ ﷺ ـ قال يوماً لأصحابه : (هل تدرون ما البيت المعمور ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنَّه مسجد في السماء ، تحته الكعبة ، لو خرَّ لخر عليها ...) .

ثم قال المحقق (الألباني) : (وجملة القول أن هذه الزيادة (حيال

الكعبة) ثابتة بمجموع طرقها) .

خوفهم من الله وخشيتهم له :

ولما كانت معرفة الملائكة بربهم كبيرة ، كان تعظيمهم له ، وخشيتهم له ، عظيمة ، قال الله فيهم : (وهم من خشيته مشفقون) ، (سورة الأنبياء /٢٨).

يبين شدة خوفهم من ربهم ما رواه النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: (إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ، أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخـروا لله سجّداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ـ عليه السلام ـ، فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ... الحديث) ، (رواه ابن جرير وابن خزيمة والطبراني وابن أبي حاتم واللفظ له).

وفي معجم الطبراني الأوسط باسناد حسن عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (مررت ليلة أُسري بي بالملأ الأعلى ، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى) . (صحيح الجامع ٢٠٦/٥) .

(والحلس : كساء يبسط في أرض البيت) .